

تقديم :

توفى فى القرن السابع الهجرى رجل من أعظم الرجال فى الأدب والنقد والبلاغة والكتابة.. هو ضياء الدين بن الأثير، وفقد العالم الإسلامى والعربى بموته أشهر من ظهر من الأدباء والنقاد والبلاغيين والكتاب.

ظل ابن الأثير طوال القرون الماضية التى تلت وفاته حتى اليوم موضع إعجاب الباحثين من الكتاب والنقاد والبلاغيين، وسيظل كذلك ما دام البحث العلمى جاريا للوصول إلى أسس فنية وبلاغية ثابتة وأصيلة.

كانت نظريات ابن الأثير الفنية فى الأدب والنقد والبلاغة والكتابة المصدر الأساسى للنقاد العرب الأقدمين واللاحقين، ومازال كذلك مصدرا هاما من مصادر البحث الفنى والعلمى الأصيل للباحثين والدارسين فى الأدب العربى وفنونه الجميلة — من المحدثين والمعاصرين.

إن عظمة ابن الأثير ترجع إلى أنه يمتاز بميزة فنية وعلمية لا تجدها إلا فى قلة قليلة من أدباء عصره ونقاده وكتابه، وهى أن ابن الأثير لم يكن مجرد أديب كبير وكفى، بل كان إلى جانب ذلك ناقدا ممتازا، وبلاغيا بارعا، وعالما رائعا بعلوم العربية، هذه ميزة انفرد بها ابن الأثير، وميزة أخرى امتاز بها ابن الأثير وهى اشتراكه عمليا فى الأحداث السياسية وانفعاله بها، وقد ظهرت آثار هذا الانفعال فى أدبه ونقده، كما ظهرت آثار علمه فى شخصيته، وقد وصل بأدبه وعلمه ونجربته إلى أعلى المناصب فى الدولة الأفضلية التى عاش فى ظلها.

ومن هنا أردت المشاركة فى دراسة نظريات ابن الأثير الفنية، وبحنها بحثاً دقيقاً يثبت الصلات بين كل من الأديب والناقد والبلاغى، أو بين كل من الأدب، والنقد، والبلاغة - وهى من أخص مزايا ابن الأثير - مبيناً أثره فى ذلك. وسيرى القارئ تركيزى - بعد كل موضوع - على تأثير ابن الأثير بالعلماء الأقدمين، وتأثيره فى العلماء المعاصرين له، أو اللاحقين به... وقد رتبت موضوعات هذه الدراسة على خلاف العادة على هذا النظام:

١- الصلات بين الأدب والنقد والبلاغة.. موضوع النقد والبلاغة - العلاقات بين الأدب والنقد والبلاغة - نشأة أو تطور البحوث البلاغية والنقدية - أثر الظواهر الثلاث.. اللفظ والمعنى، الفن البديعى، والسرقا - النقاد والبلاغيون - المؤلفات النقدية والبلاغية.

٢- ضياء الدين بن الأثير.. مولده - أبوه فى البلاط الأتابكى بالموصل - تأثيره بالمركزية الموصلية - البيئة السياسية والثقافية - فى البلاط الأفضلى بدمشق - تسلطه على أمور الدولة الأفضلية - نتيجة تصرفات الأفضل وابن الأثير - هروبه من دمشق - وجوده فى القاهرة - تنقلاته - فى الموصل - وفاته.

٣- عصر ابن الأثير الفضى.. الاضطرابات الداخلية والخارجية - الحياة الاجتماعية المضطربة - الاتجاهاات الدفاعية عن العقيدة - تشجيع الأمراء لهذه الاتجاهاات - انتعاش الحركة العلمية فى الميادين المختلفة - الحياة الأدبية والاجتماعية والساسية - عصر السيف والقلم - طموح ابن الأثير.

٤- ضياء الدين بن الأثير.. الأديب الناقد البلاغى - أسلوبه الكتابى - نماذجه الكتابية - اقتخاره وإعجابه بكتابته - الخصائص والمميزات الفنية فى كتابته -

الصنعة اللفظية - إعجاب ابن الأثير بأصحاب الصنعة اللفظية - أعماله الفنية هي التي خلدت ذكره.

٥- التفنن في الصنعة.. الجو الأدبي العام الذي مارس فيه أعماله النقدية والبلاغية - الذوق الأدبي العام في عصره - الإعداد للتفنن في الصنعة - ترسيم القواعد الأدبية - تقديم وتطبيق التماذج الفنية - غاية ابن الأثير من الأعمال النقدية والبلاغية.

٦- مفهوم الصنعة.. لم هاجم أرباب الصنعة؟ - تغير مفهوم الصنعة - قوله في السجع والرد على من أنكروه - البديع في نظره - الصناعة اللفظية من أهم موضوعات المثل السائر - سيره مع الذوق الأدبي العام في عصره - نعيه على أرباب الصنعة اللفظية.

٧- المقومات الفنية والمنهجية.. استفادة ابن الأثير من أدب عصره الذي كان يعيش فيه - استيعاب الكتب الأدبية والنقدية والبلاغية الموجودة في عصره - تأثره ببعض النظريات دون بعض - التشابه بينه وبين أبي الهلال العسكري - النتيجة.

٨- آراؤه النقدية والبلاغية.. النصائح الفنية - التطبيقات - دراسة المسائل النقدية والبلاغية - توجيه الأديب إلى المكونات الثقافية - فن الكتابة ليس كغيره - حفظ القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العربي - تأثره وتأثيره - المصطلحات الحديثة وانتشار العامة - الضعف الأدبي واللغوي.

٩- الحفظ والأخذ والحل.. الغاية من الحفظ - أخذ الآية - حل الآيات القرآنية - التطبيقات العملية وتقديم النماذج - تأثره بمن سبقه - استنباط البديع من

القرآن الكريم - صدى هذه الفكرة - تأثيره فى غيره من الأدباء - حفظ الأخبار النبوية الشريفة والغرض منه - حفظ الأشعار والغرض منه.

١٠- السرقات.. حل الشعر والسرقة - أبو هلال والسرقات - أسباب السرقات - السرقة ابتداء ومعنى الابتداء - النماذج - أنواع السرقات - أخذ المعنى وعكس المعنى - ممارسة السرقات - مسئولية ابن الأثير فيها - الاستعانة بالشعر المحفوظ - المختارات والمجاميع وأثرها فى السرقات - تأثيره وتأثيره.

١١- بعض موضوعاته البلاغية.. السجع حلية قديمة - انتشاره فى القرن الرابع - اهتمامه بالسجع وأثر ذلك فى الأدباء والبلاغيين - السجع حلقة من حلقات الاتصال - التجنيس والحكمة فيه - علاقة التجنيس بالسجع - تأثيره بالسابقين - تأثيره فى المتأخرين - التجنيس حلقة الاتصال.

١٢- المغالطات والأحاجى والألغاز.. المغالطات والتورية - تحمس ابن الأثير للمغالطات - تأثيره بالسابقين وتأثيره على المتأخرين - الأحاجى والألغاز نتيجة للتلاعب بالألفاظ - الألفاظ الأجنبية والألغاز - مقاييس الألغاز - أسباب كثرة الألغاز - تأثيره وتأثيره.

١٣- إبراز شخصية ابن الأثير.. العوامل الأساسية التى أثرت فى شخصيته - عامل الطبع - عامل الثقافة وأثرها فيه - اتجاهات الثقافة فى عصره - عامل الغرض - الغرض من التأليف - غرضه من التأليف - تأثيره بالسابقين وتأثيره فى اللاحقين.

١٤- ضياء الدين ناقدا.. نظريته فى التأليف والمؤلف - الطبع والاستعداد الفطرى - موهبة الشاعر وإبداع الكاتب - المعرفة وأثرها - إعجابه بأبى تمام

والمُتنبى - المعرفة والطبع وأثرهما - الصناعة الفنية - فصاحة الألفاظ
وتأليف العبارة - إهماله المراحل الأولية فى العمل الأدبى - اللفظ والمعنى -
الزخرفة اللفظية - خصائص الألفاظ والمعانى - السهولة فى الألفاظ والمعانى
- الخصائص اللفظية فى النظم - الاحتفاظ بمدلول الألفاظ وإيماءاتها فى
التركيب - براعة الأديب - نقده (ولما قضينا....).

١٥- رأى ابن الأثير فى تأليف العبارة الأدبية.. الذوق والشعور هما مقياسه فى
العبارة الأدبية - القواعد اللغوية لا اعتبار لها وحدها فى النقد والبلاغة - نقده
لكلمة (الفقود) فى قول الشاعر (فإن يبرأ...) لأنها غير سائغة - الفرق بين العبارة
الأدبية والعبارة العلمية أو المنطقية - إثارة الانفعال والإحساس - قوة الصورة
المجازية - التصوير الأدبى فن من المحاكاة - طريقتة فى المحاكاة - الموازنة بين امرئ
القيس والتابغة من حيث الصورة والتجربة - نظرتة إلى الفن - الفن للحياة -
الذوق الأدبى.

وبعد فهذه هى الموضوعات الرئيسية والأساسية التى تناولها البحث
والدراسة، وهى كما نرى موضوعات فنية رائعة لها أهميتها فى المجال النقدى
والأدبى والبلاغى، وهى من أهم الأبحاث النقدية والبلاغية فى العصر الحاضر، وإن
اختلفت الأسماء والاصطلاحات، وقد وصل إليها صاحبنا ابن الأثير بعمله وتجربته
وتأثره، قبل أن يتوصل إليها النقد الحديث بقرون.

وقد كتب كثير من النقاد والمؤلفين إشارات إلى ما فى التراث العربى بصفة
عامة، وإلى ما فى تراث ابن الأثير بصفة خاصة - من أبحاث ونظريات تقابل
أبحاث النقد الغربى الحديث ونظرياته، ولكن هل تكفى تلك الإشارات للكشف

عن أسرار تلك الأبحاث القيمة والنظريات الرائعة التي يحتوى عليها تراث ابن الأثير إلى جانب التراث العربى بصفة عامة؟! إن الأمر أعظم من ذلك وأكبر! وهو فى حاجة ماسة لبذل جهد أوسع للكشف عن تلك الأبحاث بصورة أوسع، واستيعاب أكمل يبرزها واضحة جلية ويضعها فى مكانها الحقيقى اللائق إلى جانب النقد الأدبى الحديث فى الآداب العالمية، حيث صاحب التراث نفسه عالمى فى أفكاره وأبحاثه ونظرياته، ما فى ذلك من شك.

وجدير بالإشارة أنه قد اتجه بعض المفكرين أخيرا إلى دراسة الجوانب الفكرية فى عصر ابن الأثير، فظهرت بعض الدراسات العامة تتناول الحركة الأدبية والفكرية والثقافية فى هذا العصر، نشير إلى بعضها على المثال: " ضياء الدين ابن الأثير وجهوده فى النقد " و " ضياء الدين ابن الأثير (سلسلة نوابغ الفكر)" للدكتور محمد زغلول سلام، و " بنو الأثير الفرسان الثلاثة " للأستاذ محمد بن عبد الله الحمدان، و " الحركة الفكرية فى عصر الأمويين والماليك " و " أدب الحروب الصليبية " للدكتور عبد اللطيف حمزة، و " الحروب الصليبية وأثرها فى الأدب العربى فى مصر والشام " للأستاذ محمد سيد الكيلانى، و " الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية فى مصر والشام " للأستاذ أحمد أحمد بدوى، و " البلاغة تطور وتاريخ " للدكتور شوقى ضيف، و " الصيغ البديعى فى اللغة العربية " للدكتور أحمد إبراهيم موسى، وغيرهم ممن ساهم فى البحث عن الجوانب العلمية والأدبية فى هذا العصر.

ولقد بذلت فى ذلك ما وسعنى من الجهد وفاء بحق هذا التراث علينا، وبضرورة الوفاء على هذا الحق، ولا أقول إننى وصلت فى دراستى عن ابن الأثير

إلى كل ما ينبغي الوصول إليه، ولا أدعى أنني أشبعت الموضوع بحثاً وتحقيقاً، ولكنني بذلت جهدي، وحاولت مخلصاً الوصول إلى كشف بعض الجوانب الفنية في التراث الذي خلفه ابن الأثير. والله أسأل أن يلهمني السداد في الجهد والقول، والإخلاص في الفكر والعمل، وهو المستعان، وهو وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

مكتبة أمية جامعة القاهرة (الإفخانة)

جدة

٢١ رمضان ١٤٠٦ هـ - ٧ الجوزاء ١٣٦٤ هـ ش

٢٩ يونيو (آيار) ١٩٨٦ م